

تراث الإسلام

السيرة النبوية لابن هشام

حققتها وضيقتها وشرحها ووضع قهارها

عبد الحفيظ بن شاذلي

دار الثقافة العربية
بدار الكتب المصرية

إبراهيم الميمني

دار الثقافة العربية
لترجمة النسخ

مطبعة السقا

الأمانة مكتبة الأمان
جدة القاهرة

الطبعة الثانية

١٩٥٥ - ١٣٧٤ هـ

جميع الحقوق محفوظة

مكتبة المطبعة
مكتبة المطبعة

لو كان أحجارى مع الأجنان^١

يريد : الأجداث . وهذا البيت في أرجوزة له . وبيت أبي طالب في قصيدة له ، سأذكرها إن شاء الله في موضعها .

قال ابن هشام : وحدثني أبو عبيدة أن العرب تقول : فم^٢ ، في موضع ثم^٣ ، يدلون الفاء من التاء .

قال ابن إسحاق : وحدثني وهب بن كيسان قال : قال عبيد : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر من كل سنة ، يطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من شهره ذلك ، كان أول ما يبدأ به ، إذا انصرف من جواره ، الكعبة ، قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته ، من السنة التي بعث الله تعالى فيها ، وذلك الشهر (شهر)^٤ رمضان ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء ، كما كان يخرج لجواره ومع أهله ، حتى إذا كانت الليلة التي أكرم الله فيها برسائه ، ورحيم العباد بها ، جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجاءني جبريل^٥ ، وأنا نائم ، بنمط^٦ من ديباج فيه كتاب^٧ ، فقال اقرأ ، قال : قلت : ما أقرأ ؟ قال : ففتنى^٨ به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قال : قلت : ما أقرأ ؟ قال : ففتنى^٩ به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قال : قلت : ماذا أقرأ ؟ قال : ففتنى^{١٠} به حتى ظننت أنه

(١) في هذا الشعر شاعره ورد على ابن جني حيث زعم أن « جندف » بالفاء لا يجمع على أجداف (راجع الروض والنظر ديوان رؤبة طبعه ليصبح سن ١٠٠٠ وفيه أحجار) .

(٢) زيادة عن ١ .

(٣) النمط : وعاء كالنمط .

(٤) قال بعض المفسرين : في قوله تعالى : « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه » إنها إشارة إلى الكتاب الذي جاء به جبريل حين قال له : اقرأ . (راجع الروض) .

(٥) كذا في الأصول والطبري وفي شرح المواب : « ما أنا بفارى » . يريد أن حكى كسائر الناس من أن حصول القراءة إنما هو بالتعلم ، وعلمها بعلمه .

(٦) كذا في الأصول والطبري . وقلت : جيس النفس . وفي المواب : « فتنى » . وهي بمعنى فت .

الموت ، ثم أرسلني ١ ، فقال : اقرأ ؛ قال : فقلت : ماذا أقرأ ؟ ما أقول ذلك إلا ابتلاء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي ؛ فقال : « اقرأ باسم ربك الذي خلق - خلق الإنسان من علق - اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم - علم الإنسان ما لم يعلم » . قال : فقرأتها ثم انتهيت فانصرف عني وهيت من ٢ نومي ، فكأنما كتبت في قلبي كتابا . قال : فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل ٣ ؛ قال : فرفعت رأسي إلى السماء أنظر ، فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدّمته في أفق السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل . قال : فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أناخّر ، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء ، قال : فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيت كذا ، فما زلت واقفا ما أتقدم أماي وما أرجع ورأى حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي ، فبلغوا أعلل مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك ؛ ثم انصرف عني .

(رسول الله صل الله عليه وسلم يقص على خديجة ما كان من أمر جبريل معه) :

وانصرفت راجعا إلى أهلتي حتى أتيت خديجة فجعلت إلى فخذها مضجعا ٤ إليها : فقالت : يا أبا القاسم ، أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رُسلي في طلبك حتى بلغوا مكة

(١) لعل الحكمة في تكرير : « اقرأ » الإشارة إلى الحصار الإيماني الذي يُلحَقُ عنه الوحي بسببه في ثلاث : القول ، والعمل ، والنية ، وأن الوحي يشتغل على ثلاث : التوحيد . والأحكام . والنقص . (راجع شرح المواهب) .

(٢) قال السبيل : « قال في الحديث : فأتانا وأنا نائم ؛ وقال في آخره : فهيت من نومي ، فكأنما كتبت في قلبي كتابا . وليس ذكر النوم في حديث عائشة ولا غيرها ، بل في حديث عروة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزول سورة « اقرأ » كان في اليقظة ، لأنها قالت في أول الحديث : أول ما بدئ به رسول الله صل الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة ، كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء . . . إل قولها : حتى جاء الحق ، وهو بقر حراء ، فجاءه جبريل . فذكرت في هذا الحديث أن الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي عليه الصلاة والسلام بالقرآن ، وقد يمكن الجمع بين الحديثين بأن النبي صل الله عليه وسلم جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة ، نوحته وتيسرا عليه . ورتقا به ، لأن أمر النبوة عظيم ، وعيها ثقیل ، والبشر ضعيف . »

(٣) مضجعا : ملتصقا ، يقال : أخصمت إلى الرجل ، إذا ملت نحوه ولصقت به ؛ ومنه سمي الضيف ضيفا .